

طيب الكلام المنتقى من كتاب العلم

كتاب العلم هو للإمام العلامة الفقيه: أبي عبدالله محمد الصالح العثيمين
- رحمه الله تعالى -

قام بإعداده والعناية به
أبو جويرية عفا الله عنه وغفر له ذنبه وستر له عيبه



آداب طالب العلم

الأول : إخلاص النية لله - عزوجل - :

بأن يكون قصده بطلب العلم وجه الله والدار الآخرة ؛ لأن الله حثَّ عليه ورغب فيه قال تعالى : (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) محمد19 ، والثناء على العلماء في القرآن معروف ، وإذا أثنى الله على شيء أو أمر به صار عباده .

إذن فيجب الإخلاص فيه لله بأن ينوي الإنسان في طلب العلم وجه الله - عزوجل - وإذا نوى الإنسان بطلب العلم الشرعي أن ينال شهادة ليتوصل بها إلى مرتبة أو رتبة ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من تعلم علما ينتغى به وجه الله عزوجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة " - يعني ربحها - ، وهذا وعيد شديد .

لكن إذا كانت نية الإنسان نيل الشهادة من أجل نفع الخلق تعليما أو إدارة أو نحوها ، فهذه نية سليمة لا تضره شيئا لأنها نية حق .

الثاني : رفع الجهل عن نفسه وعن غيره :

أن ينوي بطلب العلم رفع الجهل عن نفسه وعن غيره لأن الأصل في الإنسان الجهل ، ودليل ذلك قوله تعالى : (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) النحل 78

وكذلك تنوي رفع الجهل عن الأمة ويكون ذلك بالتعليم بشتى الوسائل لتتفع الناس بعلمك .

الثالث : الدفاع عن الشريعة :

أن ينوي بطلب العلم الدفاع عن الشريعة ، لأن الكتب لا يمكن أن تدافع عن الشريعة ، ولا يدافع عن الشريعة إلا حامل الشريعة ، فلو أن رجلا من أهل البدع جاء إلى مكتبة حافلة بالكتب الشرعية فيها ما لا يحصى من الكتب ، وقام يتكلم ببدعة ويقررها فلا أظن أن كتابا واحدا يرد عليه ، لكن إذا تكلم عند شخص من أهل العلم ببدعته ليقررها فإن طالب العلم يرد عليه ويدحض كلامه بالقرآن والسنة .

ولهذا أقول: إن مما تجب مراعاته لطالب العلم الدفاع عن الشريعة ، إذن فالناس في حاجة ماسة إلى العلماء لأجل أن يردوا على كيد المبتدعين وسائر أعداء الله - عزوجل - .

الرابع : رحابة الصدر في مسائل الخلاف :

أن يكون صدره رحباً في مواطن الخلاف الذي مصدره الاجتهاد لأن مسائل الخلاف بين العلماء ، إما أن تكون مما لا مجال للاجتهاد فيه ويكون الأمر فيها واضحا فهذا لا يعذر أحد بمخالفتها ، وإما أن تكون مما للاجتهاد فيها مجال فهذه يعذر فيها من خالفها ، ولا يكون قولك حجة على من خالفك فيها لأننا لو قبلنا ذلك لقلنا بالعكس قوله حجة عليك .

وأنا أريد بهذا ما للرأي فيه مجال ، ويسع الإنسان فيه الخلاف ، أما من خالف طريق السلف كمسائل العقيدة فهذه لا يقبل من أحد مخالفة ما كان عليه السلف الصالح ، لكن في المسائل الأخرى التي للرأي فيها مجال فلا ينبغي أن يتخذ من هذا الخلاف مطعن في الآخرين ، أو يتخذ منها سببا للعداوة والبغضاء .

فيجب على طلبة العلم أن يكونوا إخوة حتى وإن اختلفوا في بعض المسائل الفرعية وعلى كل واحد أن يدعو الآخر بالهدوء والمناقشة التي يراد بها وجه الله والوصول إلى العلم ، وبهذا تحصل الألفة ويزول هذا العنت والشدة التي تكون في بعض الناس ، حتى قد يصل بهم الأمر إلى النزاع والخصام ، وهذا لا شك يفرح أعداء المسلمين والنزاع بين الأمة من أشد ما يكون في الضرر قال الله تعالى : (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) الأنفال 46 .

الخامس : العمل بالعلم :

أن يعمل طالب العلم بعلمه عقيدة ، وعبادة ، أخلاقا ، وآدابا ، ومعاملة ؛ لأن هذا هو ثمرة العلم وهو نتيجة العلم ، وحامل العلم كالحامل لسلاحه ، إما له وإما عليه ، ولهذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " القرآن حجة لك أو عليك " .

السادس : الدعوة إلى الله :

أن يكون داعياً يعلمه إلى الله - عزوجل - يدعو في كل مناسبة في المساجد وفي المجالس ، وفي الأسواق وفي كل مناسبة ، هذا النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أتاه الله النبوة والرسالة ما جلس في بيته بل كان يدعو الناس ويتحرك ، وأنا لا أريد من طلبة العلم أن يكونوا نسخاً من كتب ولكني أريد منهم أن يكونوا علماء عاملين .

السابع : الحكمة :

أن يكون متحلياً بالحكمة حيث يقول الله : (يُؤْتِي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) البقرة 269 والحكمة أن يكون طالب العلم مريباً لغيره بما يتخلق به من الأخلاق وبما يدعو إليه من دين الله - عزوجل - بحيث يخاطب كل إنسان بما يليق بحاله ، وإذا سلكتنا هذا الطريق حصل خير كثير كما قال ربنا عزوجل : (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) .

والحكيم هو الذي يُنزل الأشياء منازلها ، ... فينبغي بل يجب على طالب العلم أن يكون حكيماً في دعوته . وقد ذكر الله مراتب الدعوة في قوله تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) النحل 125 ، وذكر الله تعالى مرتبة رابعة في جدال أهل الكتاب فقال تعالى : (ولا تُجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم) العنكبوت 46 ، فيختار طالب العلم من أساليب الدعوة ما يكون أقرب إلى القبول .

الثامن : أن يكون الطالب صابراً على التعلم :

أي مثابراً عليه لا يقطعه ولا يمل بل يكون مستمراً في تعلمه بقدر المستطاع ، وليصبر على العلم ولا يمل فإن الإنسان إذا طرقه الملل استحسر وترك ، ولكن إذا كان مثابراً على العلم فإنه ينال أجر الصابرين من وجه ، وتكون له العاقبة من وجه آخر .

التاسع : احترام العلماء وتقديرهم :

إن على طلبة العلم احترام العلماء وتقديرهم وأن تتسع صدورهم لما يحصل من اختلاف بين العلماء وغيرهم ، وأن يقابلوا هذا بالاعتذار عن سلك سبيل خطأ في اعتقادهم ، وهذه نقطة مهمة جداً ؛ لأن بعض الناس يتتبع أخطاء الآخرين ، ليتخذ منها ما ليس لائقاً في حقهم ، ويشوش على الناس سمعتهم ، وهذا من أكبر الأخطاء ، وإذا كان اغتياب العامي من الناس من كباير الذنوب فإن اغتياب العالم أكبر وأكبر ، لأن اغتياب العالم لا يقتصر ضرره على العالم بل عليه وعلى ما يحمله من العلم الشرعي . والناس إذا زهدوا في العالم أو سقط من أعينهم تسقط كلمته أيضاً ، وإذا كان يقول الحق ويهدي إليه فإن غيبة هذا الرجل لهذا العالم تكون حائلاً بين الناس وبين علمه الشرعي ، وهذا خطره كبير وعظيم .

أقول : إن على هؤلاء الشباب أن يحملوا ما يجري بين العلماء من الاختلاف على حسن النية ، وعلى الاجتهاد ، وأن يعذروهم فيما أخطأوا فيه ، ولا ما نع أن يتكلموا معهم فيما يعتقدون أنه خطأ ، ليبينوا لهم هل الخطأ منهم أو من الذين قالوا إنهم أخطأوا؟! لأن الإنسان أحياناً تيصور أن قول العالم خطأ ، ثم بعد المناقشة يتبين له صوابه ، والإنسان بشر " كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون " .

أما أن يفرح بزلّة العالم وخطئه ، ليشيعها بين الناس فتحصل الفرقة ، فإن هذا ليس من طريق السلف0

العاشر : التمسك بالكتاب والسنة :

يجب على طلبة العلم الحرص التام على تلقي العلم والأخذ من أصوله التي لا فلاح لطالب العلم إن لم يبدأ بها وهي :

1- القرآن الكريم : فإنه يجب على طالب العلم الحرص عليه قراءة وحفظاً وفهماً وعملاً به ، فإن القرآن هو حبل الله المتين وهو أساس العلوم ، وقد كان السلف يحرصون عليه غاية الحرص فيذكر عنهم الشيء العجيب من حرصهم على القرآن .

وإنه مما يؤسف له أن تجد بعض طلبة العلم لا يحفظ القرآن بل بعضهم لا يحسن القراءة وهذا خلل كبير في منهج طلب العلم . لذلك أكرر أنه يجب على طلبة العلم الحرص على حفظ القرآن والعمل به والدعوة إليه وفهمه فهماً مطابقاً لفهم السلف الصالح .

2- السنة الصحيحة : فهي ثاني المصدرين للشريعة الإسلامية وهي الموضحة للقرآن الكريم فيجب على طالب العلم الجمع بينهما والحرص عليهما ، وعلى طالب العلم حفظ السنة ، إما بحفظ نصوص الأحاديث أو بدراسة أسانيدھا ومتونها وتمييز الصحيح من الضعيف ، وكذلك يكون حفظ السنة بالدفاع عنها والرد على شبهات أهل البدع في السنة .

الحادي عشر : التثبت والتثبت :

من أهم الآداب التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم التثبت ، فالتثبت فيما ينقل من الأخبار والتثبت فيما يصدر منه من الأحكام .

وهناك فرق بين الثبات والتثبت فهما شيان متشابهان لفظاً مختلفان معنىً ، فالثبات معناه الصبر والمثابرة وألا يمل ولا يضجر ، وألا يأخذ من كل كتاب تنقة ، أو من كل فن قطعه ثم يترك ، لأن هذا يضر بالطالب ، ويقطع عليه الأيام بلا فائدة .

وهذا في الغالب لا يحصل علماً ، ولو حصل علماً فإن يحصل مسائل لا أصول ، وتحصيل المسائل كالذي يلتقط الجراد واحدة بعد الأخرى ، لكن التأصيل والرسوخ والثبات ، هذا هو المهم.

الثاني عشر : الحرص على فهم مراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم :

من الأمور المهمة في طلب العلم قضية الفهم . أي فهم مراد الله عزوجل ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن كثيراً من الناس أوتوا علماً ولكن لم يؤتوا فهماً . لا يكفي أن تحفظ كتاب الله وما تيسر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون فهم . لا بد من أن تفهم عن الله ورسوله ما أَراده الله ورسوله ، وما أكثر الخلل من قوم استدلوا بالنصوص على غير مراد الله ورسوله فحصل بذلك الضلال .

الأسباب المهيئة على طلب العلم

أولاً : التقوى :

قال الله عزوجل : (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) الأنفال 29 ، وهذه الآية فيها ثلاث فوائد مهمة ¹ :

الفائدة الأولى : (يجعل لكم فرقانا) أي يجعل لكم ما تُفرّقون به بين الحق والباطل ، وبين الضار والنافع ، وهذا يدخل فيه العلم بحيث يفتح الله على الإنسان من العلوم ما لا يفتح لغيره ، فإن التقوى يحصل بها زيادة الهدى ، وزيادة العلم ، وزيادة الحفظ ، ولهذا يذكر عن الشافعي رحمه الله أنه قال :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي
فأرشدني إلى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم نور
ونور الله لا يؤتاه عاصي

ولاشك أن الإنسان كلما ازداد علماً ازداد معرفة وفرقناً بين الحق والباطل ، والضرار والنافع ، وكذلك يدخل فيه ما يفتح الله على الإنسان من الفهم ، لأن التقوى سبب لقوة الفهم ، وقوة الفهم يحصل بها زيادة العلم ، فإنك ترى الرجلين يحفظان آية من كتاب الله يستطيع أحدهما أن يستخرج منها ثلاثة أحكام ، ويستطيع الآخر أن يستخرج أكثر من هذا بحسب ما آتاه الله من الفهم . فالتقوى سبب لزيادة الفهم ، ويدخل في ذلك أيضاً الفراسة أن الله يعطي المتقي فراصة يميز بها حتى بين الناس ؛ فبمجرد ما يرى الإنسان يعرف أنه كاذب أو صادق ، أو بر أو فاجر حتى أنه ربما يحكم على الشخص وهو لم يعاشره ولم يعرف عنه شيئاً بسبب ما أعطاه الله من الفراسة .

ثانياً : المثابرة والاستمرار على طلب العلم :

يتعين على طالب العلم أن يبذل الجهد في إدراك العلم والصبر عليه ، وأن يحتفظ به بعد تحصيله ، فإن العلم لا ينال براحة الجسم ، فيسلك المتعلم جميع الطرق الموصلة إلى العلم وهو مثاب على ذلك ؛ لما ثبت في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة " ، فليثابر طالب العلم ويجتهد ويسهر الليالي ويدع كل ما يصرفه أو يشغله عن طلب العلم.

وقد حدثني شيخنا المثابر عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - أنه ذكر عن الكسائي إمام أهل الكوفة في النحو أنه طلب علم النحو فلم يتمكن ، وفي يوم من الأيام وجد نملةً تحمل طعاماً لها وتصعد به إلى الجدار وكلما صعدت سقطت ، ولكنها تابرت حتى تخلصت من هذه العقبة وصعدت الجدار ، فقال الكسائي : هذه النملة تابرت حتى وصلت الغاية ، فتأبر حتى صار إماماً في النحو .

(1) اقتصرنا على ذكر الفائدة الأولى لارتباطها المباشر .

ولهذا ينبغي لنا أيها الطلبة أن نتأبر ولا نياس ، فإن اليأس معناه سد باب الخير ، وينبغي لنا ألا ننتشام بل نتفاءل وأن نعد أنفسنا خيراً .

ثالثا : الحفة : ظ :

فيجب على طالب العلم الحرص على المذاكرة وضبط ما تعلمه إما بحفظه في صدره ، أو كتابته فإن الإنسان عرضة للنسيان فإذا لم يحرص على المراجعة وتكرر ما تعلمه فإن ذلك يضيع منه وينساه وقد قيل :
العلم صيد والكتابة قيـــــده قيّد صيودك بالحبال الوثيقة
فمن الحماسة أن تصيد غزاة وتتركها بين الخلائق طالقة

رابعا : ملازمة العلم : اء :

يجب على طالب العلم أن يستعين بالله عز وجل ، ثم بأهل العلم ، ويستعين بما كتبوا في كتبهم ، لأن الاقتصار على مجرد القراءة والمطالعة يحتاج إلى وقت طويل بخلاف من جلس إلى عالم يبين له ويشرح له وينير له الطريق ، وأنا لا أقول إنه لا يدرك العلم إلا بالتلقي من المشايخ ، فقد يدرك الإنسان بالقراءة والمطالعة ، لكن الغالب أنه إذا ما أكب إكباً تاماً ليلاً ونهاراً ورزق الفهم فإنه قد يخطئ كثيراً ولهذا يقال : (من كان دليله كتابه فخطئه أكثر من صوابه) ، ولكن هذا ليس على الإطلاق في الحقيقة .

وأنا أنصح طالب العلم أيضاً ألا يتلقف من كل شيخ في فن واحد ، مثل أن يتعلم الفقه من أكثر من شيخ ، لأن العلماء يختلفون في طريقة استدلالهم من الكتاب والسنة ، ويختلفون في آرائهم أيضاً ، فأنت تجعل لك عالماً تتلقى علمه في الفقه أو البلاغة وهكذا ، أي تتلقى العلم في فن واحد من شيخ واحد ، وإذا كان الشيخ عنده أكثر من فن فتلتزم معه ².

انظر إليه وهو الفخر منها ³

- أولاً : الحسد
- ثانياً : الإفتاء بغير علم
- ثالثاً : الكبر
- رابعا : التعصب للمذاهب والآراء
- خامساً : التصدر قبل التأهل
- سادساً : سوء الظن

كن به طالب العلم ⁴

أولاً : العقيدة :

- 1- الأصول الثلاثة
- 2- القواعد الأربع
- 3- كشف الشبهات
- 4- كتاب التوحيد
- 5- العقيدة الواسطية
- 6- كتاب " الحموية "
- 7- كتاب " التدمرية "
- 8- العقيدة الطحاوية وشرحها
- 9- الدرر السنية في الأجوبة النجدية
- 10- كتاب " الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية " ، وفيها بعض الإطلاقات التي تخالف مذهب السلف .

ثانياً : الحديث :

- 1- كتاب " فتح الباري " للحافظ ابن حجر .
- 2- سبل السلام للصنعاني
- 3- نيل الأوطار للشوكاني
- 4- عمدة الأحكام للمقدسي

(2) لمزيد من البيان والتفصيل راجع جواب السؤال رقم 8 في الكتاب الأصل .

(3) راجع شرحها في (كتاب العلم) ص 71- 84

(4) قال في حاشية (كتاب العلم) : هذه الكتب سئل عنها الشيخ فجمعت هاهنا . ص 92

- 5- الأربعين النووية للنووي
6- بلوغ المرام للحافظ ابن حجر
7- كتاب " نخبة الفكر " للحافظ ابن حجر
8- الكتب الستة (صحيح البخاري ومسلم وسنن النسائي وأبي داود وابن ماجه والترمذي)

ثالثا : الفقه :

- 1- كتاب " آداب المشي إلى الصلاة " للشيخ محمد بن عبد الوهاب
2- زاد المستقنع للحجاوي
3- الروض المربع شرح زاد المستقنع للبهوتي
4- كتاب " عمدة الفقه " لابن قدامة - رحمه الله تعالى - .

رابعا : الفرائض :

- 1- متن الرحبية للرحبي
2- متن البرهانية لمحمد البرهاني ، وهو أحسن من "الرحبية"

خامسا : التفسير :

- 1- تفسير ابن كثير : وهو جيد بالنسبة للتفسير بالأثر ومفيد ومأمون
2- تفسير ابن سعدي : وهو كتاب جيد وسهل ومأمون وأنصح بالقراءة فيه
3- مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية
4- تفسير " أضواء البيان " للعلامة الشنقيطي

سادسا : كتب عامة في بعض الفنون :

- 1- في النحو " متن الأجرومية "
2- في النحو " ألفية ابن مالك " : وهي خلاصة علم النحو
3- في السيرة " زاد المعاد في هدي خير العباد " لابن القيم - رحمه الله -
4- كتاب " روضة العقلاء " لابن حبان البستي
5- كتاب " سير الأعلام النبلاء " للذهبي

فوائد مختارة حول طلب العلم

س5 سنل فضيلة الشيخ : هناك بعض طلبة العلم يحرص على حضور دروس طلبة العلم دون أن يلقي اهتماماً بدروس العلماء الذين جمعوا مالم يجمعه طلبة العلم فما توجيه فضيلتكم - حفظكم الله تعالى - ؟

فأجاب بقوله : الذي أراه أن الإنسان ينبغي أن يطلب العلم على عالم ناضج لأن بعض طلبة العلم يتصدر للتدريس فيحقق المسألة من المسائل سواء حديثية أو فقهية أو عقائدية يحققها تماما ويراجع عليها فإذا سمعه الناشيء من طلبة العلم ظن أنه من أكابر العلماء لكن لو خرج قيد أنملة عن هذا الموضوع الذي حققه ونقحه وراجع عليه وجدت أنه ليس عنده علم ، لذلك يجب على طالب العلم المبتدئ أن يتلقى العلم على يد العلماء الموثوق بعلمهم وأمانتهم ودينهم .

س6 سنل فضيلة الشيخ : يلاحظ ضعف الهمة والفتور في طلب العلم ، فما الوسائل والطرق التي تدفع إلى علو الهمة والحرص على العلم ؟

فأجاب - حفظه الله ورعاه - بقوله : ضعف الهمم في طلب العلم الشرعي من المصائب الكبيرة وهناك أمور منها :
الأمر الأول : الإخلاص لله - عز وجل - في الطلب والإنسان إذا أخلص لله في الطلب وعرف أنه يُثاب على طلبه وسيكون في الدرجة الثالثة من درجات الأمة فإن همته تنشط { ومن يُعط الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * } .
[النساء ، الآية : 69] .

ثانياً : أن يُلازم زملاء يحثونه على العلم ويساعدونه على المناقشة والبحث ولا يملّ من صحبتهم ماداموا يعينونه على العلم .
ثالثاً : أن يصبر نفسه بمعنى يحبسها لو أرادت أن تتفكّلت ، قال الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم : { واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون وجهاً ولا تعدّ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا } . [الكهف ، الآية : 28] . فليصبر ؛ وإذا

صبر وتعود الطلب صار الطلب سجية له ، وصار اليوم الذي يفقد فيه الطلب يوماً طويلاً عليه ، أما إذا أعطى نفسه العنان فلا ، فالنفس أمارة بالسوء والشيطان يحثه على الكسل وعدم التعلم .

س12 وسئل فضيلة الشيخ : أرجو من فضيلتكم - حفظكم الله تعالى - توضيح المنهج الصحيح في طلب العلم في مختلف العلوم الشرعية جزاكم الله خيراً وغفر لكم ؟

فأجاب بقوله : العلوم الشرعية على أصناف منها :

1- علم التفسير : فينبغي لطالب العلم أن يقرن التفسير بحفظ كتاب الله - عز وجل - اقتداء بالصحاب - رضي الله عنهم - حيث لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل ، ولأجل أن يرتبط معنى القرآن الكريم بحفظ ألفاظه فيكون الإنسان ممن تلاه حق تلاوته لا سيما إذا طبقه .

2- علم السنّة : فيبدأ بما هو أصح ، وأصح ما في السنّة ما اتفق عليه البخاري ومسلم .

لكن طلب السنّة ينقسم إلى قسمين :

قسم يريد الإنسان معرفة الأحكام الشرعية سواء في علم العقائد والتوحيد أو في علم الأحكام العملية ، وهذا ينبغي أن يُركز على الكتب المؤلفة في هذا فيحفظها كبلوغ المرام ، وعمدة الأحكام ، وكتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب كتاب التوحيد ، وما أشبه ذلك وتبقى الأمهات للمراجعة والقراءة ، فهناك حفظ وهناك قراءة يقرأ الأمهات ويكثر من النظر فيها لأن في ذلك فائدتين :

الأول : الرجوع إلى الأصول .

الثاني : تكرار أسماء الرجال على ذهنه ، فإنه إذا تكررت أسماء الرجال لا يكاد يمر به رجل مثلاً من رجال البخاري في أي سند كان إلا عرف أنه من رجال البخاري فيستفيد هذه الفائدة الحديثية .

3- علم العقائد : كتبه كثيرة وأرى أن قراءتها في هذا الوقت تستغرق وقتاً كثيراً ، والفائدة موجودة في الزبد التي كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - والعلماء ابن القيم ، وعلماء نجد مثل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ومن بعده من العلماء .

4- علم الفقه : ولا شك أن الإنسان ينبغي له أن يُركز على مذهب مُعين يحفظه ويحفظ أصوله وقواعده ، لكن لا يعني ذلك أن نلتزم التزاماً بما قاله الإمام في المذهب كما يلتزم بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم ، لكنه يبني الفقه على هذا ويأخذ من المذاهب الأخرى ما قام الدليل على صحته ، كما هي طريقة الأئمة من أتباع المذاهب كشيخ الإسلام ابن تيمية ، والنووي وغيرهما حتى يكون قد بنى على أصل ، لأنني أرى أنّ الذين أخذوا بالحديث دون أن يرجعوا إلى ما كتبه العلماء في الأحكام الشرعية ؛ أرى عندهم شطحات كثيرة ، وإن كانوا أقوياء في الحديث وفي فهمه لكن يكون عندهم شطحات كثيرة ؛ لأنهم بعيدون عما يتكلم به الفقهاء .

فتجد عندهم من المسائل الغربية ما تكاد تجزم بأنها مخالفة للإجماع أو يغلب على ظنك أنها مخالفة للإجماع ، لهذا ينبغي للإنسان أن يربط فقهه بما كتبه الفقهاء - رحمه الله - ولا يعني ذلك أن يجعل الإمام ، إمام هذا المذهب كالرسول - عليه الصلاة والسلام - يأخذ بأقواله وأفعاله على وجه الالتزام ، بل يستدل بها ويجعل هذا قاعدة ولا حرج بل يجب إذا رأى القول الصحيح في مذهب آخر أن يرجع إليه ، والغالب في مذهب الإمام أحمد أنه لا تكاد ترى مذهباً من المذاهب إلا وهو قول للإمام أحمد ، راجع كتب الروايتين في المذهب تجد أن الإمام أحمد - رحمه الله - لا يكاد يكون مذهب من المذاهب إلا وله قول يوافقه ، وذلك لأنه - رحمه الله - واسع الإطلاع ورّجّاع للحق أينما كان ، فلذلك أرى أن الإنسان يركز على مذهب من المذاهب التي يوافقها ، وأحسن المذاهب فيما نعلم من حيث اتباع السنّة مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - وإن كان غيره قد يكون أقرب إلى السنّة من غيره ، على أنه كما أشرت قبل قليل ؛ لا تكاد تجد مذهباً من المذاهب إلا والإمام أحمد يوافقه - رحمه الله - .

وأهم شيء أيضاً في منهج طالب العلم بعد النظر والقراءة ، أن يكون فقيهاً ، بمعنى أنه يعرف حكم الشريعة وآثارها ومغزاها وأن يطبق ما علمه منها تطبيقاً حقيقياً بقدر ما يستطيع { لا يُكلف الله نفساً إلا وسعها } . [البقرة ، الآية : 286] . لكن يحرص على التطبيق بقدر ما يستطيع ، وأنا أكرر عليكم دائماً هذه النقطة " التطبيق " سواء في العبادات أو الأخلاق أو في المعاملات . طبق حتى يُعرف أنك طالب علم عامل بما علمت .

ونضرب مثلاً إذا مرّ أحدكم بأخيه هل يشرع له أن يسلم عليه ؟

الجواب : نعم يشرع ولكن أرى الكثير يمر بإخوانه وكأنما مر بعمود لا يسلم عليه ، وهذا خطأ عظيم حيث يمكن أن ننقد العامة إذا فعلوا مثل هذا الفعل ، فكيف يُنقد الطالب ؟ وما الذي يضرك إذا قلت السلام عليكم ؟ وكم يأتيك ؟ عشر حسنات - تساوي الدنيا كلها

عشر حسنات لو قيل للناس : كل من مرَّ بأخيه وسلم عليه سيدفع له ريال ، لوجدت الناس في الأسواق يدورون لكي يسلموا عليه ؛ لأنه سيحصل على ريال لكن عشر حسنات نفرط فيها . والله المستعان .

وفائدة أخرى : المحبة والألفة بين الناس ، فالمحبة والألفة جاءت نصوص كثيرة بإثباتها وتمكينها وترسيخها ، والنهي عما يضادها والمسائل التي تضاد كثيرة ، كبيع المسلم على بيع أخيه ، والخطبة على خطبة المسلم ، وما أشبه ذلك ، كل هذا دفعاً للعداوة والبغضاء وجلباً للألفة والمحبة ، وفيها أيضاً تحقيق الإيمان لقوله صلى الله عليه وسلم : " والله لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا " . ومعلوم أن كل واحد منا يحب أن يصل إلى درجة يتحقق فيها الإيمان له ؛ لأن أعمالنا البدنية قليلة وضعيفة . الصلاة يمضي أكثرها ونحن ندبر شئوننا أخرى ، الصيام كذلك ، الصدقة الله أعلم بها ، فأعمالنا وإن فعلناها فهي هزيلة نحتاج إلى تقوية الإيمان ، السلام مما يقوي الإيمان ؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أخبركم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم – يعني حصل لكم الإيمان – أفشوا السلام بينكم " . هذه نقطة واحدة مما علمناه ولكننا أخللنا به كثيراً لذلك أقول : أسأل الله أن يعينني وإياكم على تطبيق ما علمنا ؛ لأننا نعلم كثيراً ولكن لا نعمل إلا قليلاً ، فعليكم يا إخواني بالعلم إذا غزيتموه بالعمل ازداد { والذين اهتدوا زادهم هدى وءاتاهم تقواهم } . [محمد ، الآية : 17] . إذا غزيتموه بالعمل ازدادت نوراً وبرهاناً { يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم } . [الحديد ، الآية : 28] . والآيات في هذا المعنى كثيرة ، فعليكم بالتطبيق في العبادات وفي الأخلاق وفي المعاملات حتى تكونوا طلاب علم حقيقةً ، أسأل الله أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة إنه سميع مجيب ، والحمد لله رب العالمين .

س14 وسئل الشيخ : ما توجيه فضيلتكم حفظكم الله تعالى لطالب العلم المبتدئ هل يقلد إماماً من أئمة المذاهب أم يخرج عنه ؟

فأجاب قائل : قال الله عز وجل : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) الأنبياء 7 ، فإذا كان هذا طالباً ناشئاً لا يعرف كيف يُخرج الأدلة فليس له إلا التقليد سواء قلّد إماماً سابقاً ميتاً أو قلّد إماماً حاضراً - عالم من العلماء - وسأله ، هذا هو الأحسن ، لكن إذا تبيّن له أن هذا القول مخالف للحديث الصحيح وجب عليه أن يأخذ بالحديث الصحيح .

س16 سئل فضيلة الشيخ - غفر الله له - : كثرت الأسئلة عن كيفية الطلب وبأي شيء يبدأ من أراد أن يطلب العلم وبأي المتون يبدأ حفظاً ، فما توجيهكم لهؤلاء الطلبة ، وجزاكم الله خيراً ؟

فأجاب فضيلته بقوله : أولاً وقبل أن أذكر التوجيه لهؤلاء الطلبة أوجه الطلبة أن العلم عن عالم ؛ لأن تلقي العلم عن العالم فيه فائدتان عظيمتان :

الأولى : أنه أقرب تناولاً ؛ لأن العالم عنده اطلاع وعنده معرفة ويعطيك العلم ناضجاً سهلاً .
الثانية : أن الطلب على عالم يكون أقرب إلى الصواب بمعنى أن الذي يطلب العلم على غير عالم يكون له شطحات وآراء شاذة بعيدة عن الصواب ، وذلك لأنه لم يقرأ على عالم راسخ في علمه حتى يربيّه على طريقته التي يختارها .
فالذي أرى أن يحرص الإنسان على أن يكون له شيخ يلزمه لطلب العلم ؛ لأنه إذا كان له شيخ فإنه سوف يوجهه التوجيه الذي يرى أنه مناسب له .

أما بالنسبة للجواب على سبيل العموم فإننا نقول :

أولاً : الأولى أن يحفظ الإنسان كتاب الله قبل كل شيء ؛ لأن هذا هو دأب الصحابة - رضي الله عنه - كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى تعلموها وما فيها من العلم والعمل ، وكلام الله أشرف الكلام على الإطلاق .

ثانياً : يأخذ من متون الأحاديث المختصرة ما يكون ذخراً له في الاستدلال بالنسبة مثل : عمدة الأحكام ، بلوغ المرام ، الأربعين النووية وما أشبه ذلك .

ثالثاً : يحفظ من متون الفقه ما يناسبه ومن أحسن المتون التي نعلمها " زاد المستقنع في اختصار المقنع " لأن هذا الكتاب قد خُدم من قبل شارحه منصور بن يونس البهوتي ومن قبل من بعده ممن خدموا هذا الشرح والتمن بالحواشي الكثيرة .

رابعاً : النحو وما أدراك ما النحو الذي لا يعرفه من الطلبة إلا القليل حتى إنك لترى الرجل قد تخرج من الكلية وهو لا يعرف عن النحو شيئاً يتمثل بقول الشاعر :

لا بارك الله في النحو ولا أهله إذا كان منسوباً إلى نفطويه
أحرقه الله بنصف اسمه وجعل الباقي صراخاً عليه

لماذا قال الشاعر هذا الكلام ؟ الجواب : لأنه عجز عن النحو ، ولكن أقول إن النحو باب من حديد ودهاليزه قصب يعني أنه شديد وصعب عند أول الدخول فيه ، ولكنه إذا انفتح الباب لطالبه سهل عليه الباقي بكل يسر وصار سهلاً عليه ، حتى إن بعض طلبة العلم الذين بدعوا في النحو صاروا يعشقونه فإذا خاطبتهم بخطاب عادي جعل يعربه ليطمرن على الإعراب ، ومن أحسن متون النحو الأجرومية ، كتاب مختصر مركز غاية التركيز ولهذا أنصح من يبدأ أن يبدأ به فهذه الأصول التي ينبغي أن يبني عليها طالب العلم .

خامساً : أما ما يتعلق بعلم التوحيد فالكتب في هذا كثيرة منها : " كتاب التوحيد " لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ومنها : " العقيدة الواسطية " لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وهي كثيرة معروفة والله الحمد .

والنصيحة العامة لطالب العلم أن يكون عليه آثار علمه من تقوى الله - عز وجل - والقيام بطاعته ، وحسن الخلق ، والإحسان إلى الخلق بالتعليم والتوجيه والحرص على نشر العلم بجميع الوسائل سواء كان ذلك عن طريق الصحف أو المجلات أو الكتب أو الرسائل أو النشرات وغير ذلك من الوسائل .

وأصبح طالب العلم أيضاً ألا يتسرع في الحكم على الشيء ؛ لأن بعض طلبة العلم المبتدئين تجده يتسرع في الإفتاء وفي الأحكام وربما يخطئ العلماء الكبار وهو دونهم بكثير ، حتى إن بعض الناس يقول : ناظرت شخصاً من طلبة العلم المبتدئين فقلت له : إن هذا قول الإمام أحمد بن حنبل . فقال : وما الإمام أحمد بن حنبل ؛ الإمام أحمد بن حنبل رجل ونحن رجال ، سبحان الله !! صحيح أن الإمام أحمد بن حنبل رجل وأنت رجل ، فأنتما مستويان في الذكورة ، أما في العلم فبينكما فرق عظيم ، وليس كل رجل رجلاً بالنسبة للعلم .

وأقول : إن على طالب العلم أن يكون متأدباً بالتواضع وعدم الإعجاب بالنفس وأن يعرف قدر نفسه .
ومن المهم لطالب العلم المبتدئ : ألا يكون كثير المراجعة لأقوال العلماء ؛ المغني في الفقه لابن قدامة ، والمجموع للنووي والكتب الكبيرة التي تذكر الخلاف وتناقشه فإنك تضيع .
ابداً أولاً كما قلنا بالمتون المختصرة شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى الغاية ، وأما أن تريد أن تصعد الشجرة من فروعها فهذا خطأ .

س17 سنل فضيلة الشيخ - حفظه الله تعالى - : ما طريقة طلب العلم باختصار جزاكم الله خيراً ؟

فأجاب فضيلته بقوله : طريقة طلب العلم باختصار في نقاط :

- 1- احرص على حفظ كتاب الله تعالى واجعل لك كل يوم شيئاً معيناً تحافظ على قراءته ، ولتكن قراءتك بتدبر وتفهم ، وإذا عنت لك فائدة أثناء القراءة فقيدها .
- 2- احرص على حفظ ما تبسر من صحيح سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ذلك حفظ عمدة الأحكام .
- 3- احرص على التركيز والثبات بحيث لا تأخذ العلم نفاقاً من هذا شيئاً ومن هذا شيئاً ؛ لأن هذا يضيع وقتك ويشتت ذهنك .
- 4- ابدأ بصغار الكتب وتاملها جيداً ثم انتقل إلى ما فوقها ، حتى تحصل على العلم شيئاً فشيئاً على وجه يرسخ في قلبك وتطمئن إليه نفسك .
- 5- احرص على معرفة أصول المسائل وقواعدها وقيد كل شيء يمر بك من هذا القبيل فقد قيل : من حُرِّم الأصول حُرِّم الوصول .
- 6- ناقش المسائل مع شيخك ، أو مع من تثق به علماً وديناً من أقرانك ، ولو بأن تقدر في ذهنك أن أحداً يناقشك فيها إذا لم تمكن المناقشة مع من سمينا .

س22 سنل فضيلة الشيخ : نلاحظ أن أكثر الشباب يهتم بقراءة الكتب الثقافية العامة متأثراً بها وغير مهتم بكتب الأصول فما نصيحتكم وفقكم الله ؟

فأجاب قائلاً : نصيحتي لنفسي أولاً ثم لإخواننا طلبة العلم أن يعتنوا بكتب أهل العلم من السلف ؛ لأن كتب السلف فيها من الخير الكثير والعلم الكثير وفيها من البركة ما هو معلوم .

س23 وسئل فضيلته : نرى كثيراً من الناس يعلم بعض الأحكام الشرعية كتحريم حلق اللحية وشرب الدخان ومع ذلك لا يعمل بعلمه ، فما أسباب ذلك ، وكيف نعالج هذه الظاهرة الخطيرة ؟

فأجاب بقوله : أسباب ذلك هو اتباع الهوى ، وكون الإنسان ليس عنده الوازع الديني ما يحمله على تقوى الله عزوجل في تجنب ما يراه حراماً ، والإنسان إذا حاسب نفسه ورأى أنه راجع إلى ربه مهما طال الوقت فإنه قد يغلب هواه وقد يسيطر على نفسه .

ومن أسباب ذلك أيضاً أن الشيطان يُصَغِّر مثل هذه المعاصي في قلب العبد ، والنبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فقال : " إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل ذلك كمثل قوم نزلوا أرضاً فأتى هذا بعود وهذا بعود وهذا بعود ثم إذا جمعوا حطباً كثيراً وأضرموا ناراً كثيراً " ، فهكذا المعاصي المحقرات التي يراها الإنسان حقيرة لاتزال به حتى تكون من كبائر الذنوب .

ولهذا قال أهل العلم إن الإصرار على الصغائر يجعلها كبائر ، وإن الاستغفار من الكبائر يكفرها ، لهذا نقول لهؤلاء عليكم أن تحاسبوا أنفسكم ، كذلك من أسباب ذلك قلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ولو كان كل واحد منا إذا رأى أحداً على معصية أرشده وبيّن له أن ذلك مخالف لهدى الرسول صلى الله عليه وسلم فإن العاقل سوف يعتبر ويتغير .

س28 وسئل فضيلته : كيف نرد على من قال : إن العلماء السابقين لم تكن لديهم المشاغل التي تؤثر على حفظهم كما هو حاصل لعلماء هذا الزمان ، ومنهم من يكون ليس لديه إلا التفرغ لطلب العلم وحفظه والجلوس بلا مشاغل ، أما الآن فكثرت المشاغل الدنيوية التي تأخذ كل الوقت ، والإنسان قد لا يستطيع الاستغناء عن هذه المشاغل ؟

فأجاب - حفظه الله - : أقول لطالب العلم ما دمت أنك قد فرغت نفسك للعلم فكن طالب علم حقاً ، واعتقد أن البناء الذي فرغ نفسه للبناء لا يلتفت إلى عمل آخر ، بل يلتفت إلى مهمته التي كرس نفسه لها ورأى أنها هي الخير له ، فما دمت تعلم أن طلب العلم هو الخير وتريد أن تتخذ طريقاً لك فلا تلتفت إلى غيره .

وفي ظني أن الرجل إذا ثابر مع الإيمان والإخلاص وصدق النية فإن الله سبحانه وتعالى يعينه ولا يعأ بهذه المشكلات ، والله عزوجل يقول : (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) (ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب) الطلاق 2 ، 3 . فعليك بصدق النية في الطلب تجد أن الأمر سهل وميسر .

س29 وسئل الشيخ : بماذا تنصح من يريد طلب العلم الشرعي ولكنه بعيد عن العلماء مع العلم بأن لديه مجموعة كتب منها الأصول والمختصرات ؟

فأجاب بقوله : أنصح بأن يثابر على طلب العلم ويستعين بالله - عز وجل - ثم بأهل العلم ، لأن تلقي الإنسان العلم على يدي العالم يختصر له الزمن بدلاً من أن يذهب ليراجع عدة كتب وتختلف عليه الآراء ، ولست أقول كمن يقول ، أنه لا يمكن إدراك العلم إلا على عالم أو على شيخ فهذا ليس بصحيح ، لأن الواقع يكذبه لكن دراستك على الشيخ تنور لك الطريق وتختصره .

س35 سئل الشيخ : أي كتب تفسير القرآن تنصح بقراءتها ؟ وحفظ القرآن ، إذا حفظ الإنسان ونسي فهل هناك وعيد فيه ؟ وكيف يحفظ الإنسان ويحافظ على ما حفظ ؟

فأجاب بقوله : القرآن وعلومه متنوعة ، وكل مفسر يفسر القرآن يتناول طرقاً من هذه العلوم ولا يمكن أن يكون تفسيراً واحداً يتناول القرآن من جميع الجوانب . فمن العلماء من ركز في تفسيره على التفسير الأثري أي على ما يؤثر عن الصحابة والتابعين كابن جرير وابن كثير ، ومنهم من ركز على التفسير النظري كالزمخشري وغيره ولكن أنا أرى أن يفسر الآية هو بنفسه أولاً أي يكرر في نفسه أن هذا هو معنى الآية ثم بعد ذلك يراجع ما كتبه الناس فيها لأن هذا يفيد أن يكون قوياً في التفسير غير عالة على غيره ، وكلام الله عزوجل منذ بُعث الرسول صلى الله عليه وسلم إلى اليوم (بلسان عربي مبين) .

وإن كان يجب الرجوع إلى تفسير الصحابة لأنهم أدرى الناس بمعانيه ، ثم إلى كتب المفسرين التابعين ، لكن مع ذلك لا أحد يستوعب كلام الله عزوجل فالذي أرى أن الطريقة المثلى أن يكرر الإنسان تفسير الآية في نفسه ثم بعد ذلك يراجع كلام المفسرين فإذا وجده مطابقاً فهذا مما يمكنه من تفسير القرآن وييسره له وإن وجده مخالفاً رجع إلى الصواب .

وأما حفظ القرآن فطريقة حفظه تختلف من شخص لآخر ، بعض الناس يحفظ القرآن آية آية بمعنى أنه يحفظ آية يقرأها أولاً ثم يرددها ثانياً وثالثاً حتى يحفظها ثم يحفظ التي بعدها ثم يكمل ثمن أو ربع الجزء أو ما أشبه ذلك ، وبعض الناس يقرأ إلى الثمن جميعاً ويردده حتى يحفظه ومثل هذا لا يمكن أن نحكم عليه بقاعدة عامة فنقول للإنسان : استعمل ما تراه مناسباً لك في حفظ القرآن

لكن المهم أن يكون عندك علم لما حفظت متى أردت الرجوع إليه ، وأحسن ما رأيت في العلم أن الإنسان إذا حفظ شيئاً اليوم يقرأه مبكراً الصباح التالي فإن هذا يعين كثيراً على حفظ ما حفظه في اليوم الأول ، هذا شيء فعلته أنا فإن هذا يعين على الحفظ الجيد .

س 43 سئل الشيخ : أيهما أفضل : التفرغ للدعوة إلى الله عزوجل أم التفرغ لطلب العلم ؟
فأجاب قائلاً : طلب العلم أفضل وأولى وبإمكان طالب العلم أن يدعو وهو يطلب العلم ، ولا يمكن أن يقوم بالدعوة إلى الله وهو على غير علم ، قال الله تعالى : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة) يوسف108 فكيف يكون هناك دعوة بلا علم ؟ ولا أحد دعا بدون علم أبداً ، ومن يدعو بدون علم لا يُوفق .

س47 وسئل فضيلته : عن طالب علم يريد أن يذهب مع إخوانه في الله لطلب العلم وكان الحائل بينه وبين الذهاب معهم هو أهله ، والده وأمه ، فما الحكم في خروج هذا الطالب ؟

فأجاب بقوله : هذا الطالب إن كان هناك ضرورة لبقائه عندهم فهذا أفضل ، مع أنه يمكنه أن يبقى عندهم مع طلب العلم ، لأن بر الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله ، والعلم من الجهاد وبالتالي فيكون بر الوالدين مقدماً عليه إذا كانا في حاجة إليه ، أما إذا لم يكونا في حاجة إليه ويتمكن من طلب العلم أكثر إذا خرج فلا حرج عليه أن يخرج في طلب العلم في هذه الحالة ، ولكنه لا ينسى حق الوالدين في الرجوع إليهما وإقناعهما إذا رجع ، وأما إذا علم كراهة الوالدين للعلم الشرعي فهؤلاء لا طاعة لهما ، ولا ينبغي له أن يستأذن منهما إذا خرج ؛ لأن الحامل لهما كراهة العلم الشرعي .

س48 سئل فضيلة الشيخ - غفر الله له - : هل يجوز تعلم العلم من الكتب فقط دون العلماء وخاصة إذا كان يصعب تعلم من الكتب فقط دون العلماء وخاصة إذا كان يصعب تعلم العلم من العلماء لندرتهم ؟ وما رأيك في قول القائل : من كان شيخة كتابه كان خطؤه أكثر من صوابه ؟

فأجاب قائلاً : لا شك أن العلم يحصل بطلبه من العلماء وبطلبه في الكتب ؛ لأن كتاب العالم هو العالم نفسه ، فهو يحدثك من خلال كتبه ، فإذا تعذر الطلب على أهل العلم ، فإنه يطلب العلم من الكتب ، ولكن تحصيل العلم عن طريق العلماء أقرب من تحصيله عن طريق الكتب ؛ لأن الذي يحصله عن طريق الكتب يتعب أكثر ويحتاج إلى جهد كبير جداً ، ومع ذلك فإنه قد تخفى عليه بعض الأمور كما في القواعد الشرعية التي قعدها أهل العلم والضوابط ، فلا بد أن يكون له مرجع من أهل العلم بقدر الإمكان .

وأما قوله : " من كان دليله كتابه فخطؤه أكثر من صوابه " ، فهذا ليس صحيحاً على إطلاقه ولا فاسداً على إطلاقه ، أما الإنسان الذي يأخذ العلم من أي كتاب يراه فلا شك أنه يخطئ كثيراً ، وأما الذي يعتمد في تعلمه على كتب رجال معروفين بالثقة والأمانة والعلم فإن هذا لا يكثر خطؤه بل قد يكون مصيباً في أكثر ما يقول .

س50 سئل الشيخ : ذكرتم - جزاكم الله خيراً - أن الاعتماد على أقوال الرجال خطأ يضر طالب العلم ، فهل يُفهم من هذا عدم التمهيد أو الرجوع إلى مذهب معين فيما يشكل من أحكام ؟

فأجاب بقوله : التمهيد بمذهب معين إذا كان المقصود منه أن الإنسان يلتزم بهذا المذهب معرضاً عما سواه سواء كان الصواب في مذهبه أو مذهب غيره فهذا لا يجوز ولا أقول به ، أما إذا كان الإنسان يريد أن ينتسب إلى مذهب معين لينتفع بما فيه من القواعد والضوابط ولكنه يرد ذلك إلى الكتاب والسنة ، وإذا تبين له الرجحان في مذهب آخر ذهب إليه فهذا لا بأس به ، والعلماء المحققون كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم هم من هذا النوع هم محققون ولهم مذهب معين ولكنهم لا يخالفون الدليل إذا تبين لهم .

س59 سئل الشيخ : أريد أن أتعلم العلم الشرعي وأبدأ في التعلم ولا أعرف كيف أبدأ ، فماذا تنصحوني في ذلك ؟

فأجاب فضيلته بقوله : خير منهج لطالب العلم أن يبدأ الطالب بفهم كلام الله - عز وجل - من كتب التفسير الموثوق بها كتفسير ابن كثير والبخاري ، ثم يفهم ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من السنة من الكتب الحديثية الموثوقة كبلوغ المرام والمنتهى وأصول كتب الحديث الملتزمة بالصحيح كصحيح البخاري ومسلم ثم كتب العقيدة السليمة مثل العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ثم يكتسب الفقه المختصرة ليتفقه بها على المذهب الذي يراه أقرب إلى الكتاب والسنة ، وحين يترقى في العلم يقرأ الكتب المطولة ليزداد بها علماً .

س 61 وسئل الشيخ : طالب العلم المبتدئ هل يبدأ في طلب العلم بالبحث عن الأدلة أم يُقَدَّر في ذلك أئمة أحد المذاهب ما توجيه سماحتكم - حفظكم الله تعالى - ؟

فأجاب قائلاً : الطالب المبتدئ في العلم يجب عليه البحث عن الدليل بقدر إمكانه لأنه المطلوب الوصول إلى الدليل ، ولأجل أن يحصل له الثمر على طلب الأدلة وكيفية الاستدلال فيكون سائراً إلى الله على بصيرة وبرهان ، ولا يجوز له التقليد إلا لضرورة كما لو بحث فلم يستطع الوصول إلى نتيجة أو حدثت له حادثة تتطلب الفورية فلم يتمكن من معرفة الحكم بالدليل قبل فوات الحاجة إليها فله حينئذ أن يقدر بنية أنه متى تبين له الدليل رجع إليه ، وإذا اختلف عليه المفتون ، فقليل يُخَيَّر وقليل يأخذ بالأسر لأنه الموافق لقوله تعالى : (يُريد الله بكم اليسر) البقرة 185 ، وقليل يأخذ بالأشد لأنه أحوط وغيره مشتبه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه " ، والأرجح أن يأخذ بما يغلب على ظنه أنه أقرب إلى الصواب لكون قائله أعلم وأورع ، والله أعلم .

س62 وسئل فضيلته : ما هي الكتب التي تنصح بها ؟ ونرجو توجيه نصيحة للطلاب جزاكم الله خيراً ؟

فأجاب فضيلته بقوله : من أحسن ما يطالعه الطلاب من الكتب ، كتب تفسير الموثوقة كتفسير ابن كثير ، والشيخ عبد الرحمن السعدي ، وكتب الحديث كفتح الباري شرح صحيح البخاري ، وسبل السلام شرح بلوغ المرام ، ونيل الأوطار شرح منتقى الأخبار ، ورياض الصالحين .

ننصح أبناءنا الطلبة بالحرص على العلم النافع والعمل الصالح والأخلاق الحسنة ، وكسب الوقت فيما فيه خيرهم وصلاحهم في دينهم ودنياهم ، وأن يَمَرُّوا أنفسهم على فعل الجميل والصبر على الأمور التي فيها مصلحتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

س67 سئل فضيلة الشيخ : هل يجوز لطالب العلم أن يرجح بعض الآراء الفقهية على بعض ثم يلزم بها غيره ، وهل له أن يأخذ بالرأي المرجوح في بعض الأحوال وهو يعلم الراجح ؟

فأجاب بقوله : إذا لم يتبين الحكم بياناً تاماً لطالب العلم ويظل عنده شك منه ، فله أن يلزم نفسه به احتياطاً ، ولا يلزم غيره بذلك ، لأنه ليس عنده دليل بين يكون حجة له أمام الله عز وجل حين يُحَرَّم أو يوجب على عباد الله مالم يثبت شرعاً ، وكثير ما يتردد المجتهد في بعض الأشياء فيجب أن يطبقها على نفسه ويتحمل ما يكون فيها من المشقة ، ولكنه يخشى من إلزام عباد الله بها .

ولذلك نقول : لا مانع أن يسلك الإنسان هذا المسلك ولكنه لا يترك إعادة النظر مرة بعد أخرى حتى يتبين الأمر ويلزم الناس بمقتضى الدليل ولا يكون مقصراً في طلب الدليل فيكون مقصراً في بيان الشرع .

ولا يجوز له العمل بالمرجوح ، بل يتعين عليه أن يعمل بالراجح إذا تبين له أنه راجح .

س 69 وسئل الشيخ : ما هي الطريقة الصحيحة في طلب العلم هل يكون بحفظ المتن في علوم الشريعة أم فهمها ، نرجو التوضيح - حفظكم الله تعالى - ؟

فأجاب بقوله : على طالب العلم أن يبدأ العلم شيئاً فشيئاً ، فعليك أن تبدأ في الأصول والقواعد والضوابط وما أشبه ذلك من المختصرات مع المتون ؛ لأن المختصرات سُلِّم إلى المطولات ، لكن لابد من معرفة الأصول والقواعد ، ومن لم يعرف الأصول حُرِّم الوصول .

كثيراً من طلبة العلم تجده يحفظ مسائل كثيرة لكن ما عنده أصل لو تأتته مسألة واحدة شاذة عما كان يحفظه ما استطاع أن يعرف لها حلاً ، لكن إذا عرف الضوابط والأصول استطاع أن يحكم على كل مسألة جزئية من مسائله ، ولهذا فأنا أحث أخواني على معرفة الأصول والضوابط والقواعد لما فيها من الفائدة العظيمة ، وهذا شيء جربناه وشاهدناه مع غيرنا على أن الأصول هي المهم ومنها حفظ المختصرات ، وقد أراد بعض الناس أن يذكروا بنا قالوا لنا : إن الحفظ لا فائدة فيه وأن المعنى هو الأصل ، ولكن الحمد لله أنه أنقذنا من هذه الفكرة وحفظنا ما شاء الله أن نحفظ من متون النحو وأصول الفقه والتوحيد .

وعلى هذا فلا يُستهان بالحفظ ؛ فالحفظ هو الأصل ولعل أحداً منكم الآن يذكر عبارات قرأها قبل يومين ، فالحفظ مهم لطالب العلم حتى وإن كان فيه من الصعوبة ، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن تكونوا ممن اهتموا لطريقة سلفنا الصالح وأن يجعلنا من الهداة المهتدين ، إنه جواد كريم .

س78 سئل الشيخ : متى يكون الخلاف في الدين معتبراً ؟ وهل يكون الخلاف في كل مسألة أم له مواضع معينة ؟ نرجو بيان ذلك .
فأجاب بقوله : أولاً أعلم أن خلاف علماء الأمة الإسلامية إذا كان صادراً عن اجتهاد فإنه لا يضر من لم يوفق للصواب لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد " . ولكن من تبين له الحق وجب عليه اتباعه بكل حال ، والاختلاف الذي يقع بين علماء الأمة الإسلامية لا يجوز أن يكون سبباً لاختلاف القلوب ؛ لأن اختلاف القلوب يحصل فيه مفسد عظيم كبير كما قال تعالى : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) الأنفال 46

والخلاف المعتبر بين العلماء والذي ينقل ويذكر هو الخلاف الذي له حظ من النظر ، أما خلاف العامة الذين لا يفهمون ولا يفقهون فلا عبرة به ولهذا يجب على العامي أن يرجع إلى أهل العلم كما قال الله تعالى : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) النحل 43

وأما قول السائل هل يكون الخلاف في كل مسألة فليس كذلك ، الخلاف قد يكون في بعض المسائل التي يختلف فيها الاجتهاد أو يكون بعض الناس أعلم من بعض في الاطلاع على نصوص الكتاب والسنة هي التي يكون فيها الخلاف ، أما المسائل الأصلية فإنها يقل فيها الخلاف .

س 82 وسئل - غفر الله له - : عن أقسام الناس في طلب علم الكتاب والسنة الصحيحة ؟
الجواب : انقسم الناس في طلب علم الكتاب والسنة إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : من تجده معرضاً عن الكتاب والسنة ، مكباً على الكتب الفقهية المذهبية يعمل بما فيها مطلقاً ، ولا يرجع إلا إلى ما قاله فلان وفلان من أصحاب الكتب المذهبية .

القسم الثاني : من أكبَّ على علوم القرآن مثل علم التجويد أو ما يتصل بمعناه أو إعرابه وبلاغته ، وأما بالنسبة للسنة وعلم الحديث فهو قليل البضاعة فيها وهذا قصور كبير بلا شك .

القسم الثالث : من تجده مكباً على علم الحديث وعلم تحقيق الأسانيد وما فيها من علل ، وما يتعلق بالحديث من حيث القبول أو الرد ، ولكنه في علوم القرآن ضعيف جداً ، فلو سألته عن تفسير أوضح آية في كتاب الله فلا يعرف تفسيرها ، وكذلك في علم التوحيد والعقيدة لو سئل لم يعرف ، وهذا قصور كبير بلا شك .

القسم الرابع : من كان حريصاً على الجمع بين الكتاب والسنة الصحيحة ، وما كان عليه سلف الأمة مما يتعلق بعلم الكتاب والسنة ، ومع ذلك ليس معرضاً عما قاله أهل العلم في كتبهم بل هو يقيم له وزناً ويستعين به على فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ لأن العلماء - رحمهم الله بعلمهم - وضعوا قواعد وضوابط وأصول ينتفع بها طالب العلم ، حتى المفسر في تفسير القرآن وحتى طالب السنة في معرفة السنة أو في شرح معانيها فيكون مركزاً على الكتاب والسنة ومستعيناً بما قاله أهل العلم في كتبهم وهذا هو خير الأقسام .

ولننظر هل نحن طبقنا سير العلم على هذه الطريقة الأخيرة أو أننا من القسم الأول أو الثاني أو الثالث . فإذا كان غير القسم الأخير فإنه يجب أن نصح طريقتنا ؛ لأن الله يقول في كتابه : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) النساء 59 ، وأولي الأمر يشمل العلماء ويشمل الأمراء . (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ... الآية) النساء 59

ونحن دائماً إذا رجعنا إلى المأخوذ عن الصحابة والتابعين نجدهم دائماً يتحاكمون إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ ومع ذلك فإني لا أقول إنه يجب أن تهذر أقوال العلماء ، بل أقوال العلماء لها قيمتها ووزنها واعتبارها ويستعان بها على فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

س85 سنل فضيلة الشيخ - حفظه الله تعالى - : بيم يكون الإخلاص في طلب العلم ؟

فأجاب فضيلته بقوله : الإخلاص في طلب العلم يكون بأمور :

الأمر الأول : أن ينوي بذلك امتثال أمر الله ؛ لأن أمر بذلك فقال : (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) . محمد 19 . وحث

سبحانه وتعالى على العلم ، والحث على الشيء يستلزم محبته والرضا به والأمر به .

الأمر الثاني : أن تنوي بذلك حفظ شريعة الله ؛ لأن حفظ شريعة الله يكون بالتعلم والحفظ في الصدر ويكون كذلك بالكتابة .

الأمر الثالث : أن تنوي حماية الشريعة والدفاع عنها ؛ لأنه لولا العلماء ما حُميت الشريعة ولا دافع عنها أحد ، ولهذا نجد مثلاً شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم تصدوا لأهل البدع وبينوا بطلان بدعهم ، نرى أنهم حصلوا على خير كثير .

الأمر الرابع : أن تنوي بذلك اتباع شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ لأنك لا يمكن أن تتبع شريعة حتى تعلم هذه الشريعة .

الأمر الخامس : أن تنوي بذلك رفع الجهل عن نفسك وعن غيرك .

س 89 وسئل الشيخ : بعض المبتدئين يبدؤون في القراءة من كتاب المحلى لابن حزم بحجة التمرن على المناظرة وحينما تنصحهم

بأن هذا سابق لأوانه فيقولون : نريد التمرن ، فهل هذا صحيح ؟

فأجاب بقوله : مناظرة ابن حزم - رحمه الله - مناظرة صعبة ، يشدد على خصمه ، ويحصل منه أحياناً سب لمخالفه ، فهو - رحمه

الله - كان شديداً جداً ، وأخشى أن يكون طالب العلم الصغير إذا تعود على مثل ما كان عليه ابن حزم أخشى عليه من الممارسة ، فلو

أنه سلك مسلكاً سهلاً لكان أحسن ، وإذا حصل على قدر كبير من العلم - إن شاء الله - وعرف كيف يستفيد من ابن حزم فليطالع في

كتابه ، لذلك لا أنصح بمطالعة للطالب المبتدئ ، لكن التمرن على المجادلة لإثبات الحق أمر لا بد منه ، فكثير من الناس عنده علم

واسع لكنه عند المجادلة لا يستطيع إثبات الحق .

س 90 سنل الشيخ - حفظه الله تعالى - : إذا أراد طالب العلم الفقه فهل له الاستغناء عن أصول الفقه ؟

فأجاب قوله : إذا أراد طالب العلم أن يكون عالماً في الفقه فلا بد أن يجمع بين الفقه وأصول الفقه ليكون متبحراً متخصصاً فيه ، وإلا

فيمكن أن تعرف الفقه بدون علم الأصول ، ولكن لا يملك أن تعرف أصول الفقه ، وتكون فقهياً بدون علم الفقه ، أي أنه يمكن أن

يستغني الفقيه عن أصول الفقه ولا يمكن أن يستغني الأصولي عن الفقه إذا كان يريد الفقه ، ولهذا اختلف علماء الأصول هل الأولى

لطالب العلم أن يبدأ بأصول الفقه حتى يبني الفقه عليها ، أو بالفقه لدعاء الحاجة عليه ، حيث إن الإنسان يحتاج إليه في عمله ، في

عبادته ومعاملاته قبل أن يتقن أصول الفقه ، الثاني هو الأولى وهو المتبع غالباً .

س92 وسئل الشيخ : ما توجيهكم حول استغلال الوقت وحفظه من الضياع ؟

فأجاب قائلاً : ينبغي لطالب العلم أن يحفظ وقته عن الضياع ، وضياع الوقت يكون على وجوه :

الوجه الأول : أن يدع المذاكرة ومراجعة ما قرأ

الوجه الثاني : أن يجلس إلى أصدقائه ويتحدث بحديث لغو ليس فيه فائدة .

الوجه الثالث : وهو أضرها على طالب العلم ألا يكون له هم إلا تتبع أقوال الناس وما قيل وما قال ، وما حصل وما يحصل في أمر

ليس معنياً به ، وهذا لا شك أنه من ضعف الإسلام ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه

" ، والاشتغال بالقليل والقال وكثرة السؤال مضيعة للوقت ، وهو في الحقيقة مرض إذا دب في الإنسان - نسأل الله العافية - وصار

أكبر همّه ، وربما يعادي من لا يستحق العدا ، أو يوالي من لا يستحق الولاء ، من أجل اهتمامه بهذه الأمور التي تشغله عن طلب

العلم بحجة أن هذا من باب الانتصار للحق ، وليس كذلك ، بل هذا من إشغال النفس بما لا يعني الإنسان ، أما إذا جاءك الخبر بدون

أن تتلقفه وبدون أن تطلبه ، فكل إنسان يتلقى الأخبار ، لكن لا ينشغل بها ، ولا تكون أكبر همّه ، لأن هذا يشغل طالب العلم ، ويفسد

عليه أمره ويفتح في الأمة باب الحزبية فتتفرق الأمة .

س 94 وسئل : هل تعتبر أشرطة التسجيل طريقة من طرق العلم ؟ وما هي الطريقة المثلى للاستفادة منها ؟

فأجاب بقوله : أما كون هذه الأشرطة وسيلة من وسائل تحصيل العلم فهذا لا يشك فيه أحد ، ولا نجد نعمة الله علينا في هذه

الأشرطة التي استفدنا كثيراً من العلم بها ، لأنها توصل إلينا أقوال العلماء في أي مكان كنا .

ونحن في بيوتنا قد يكون بيننا وبين هذا العالم مفاوز ويسهل علينا أن نسمع كلامه من خلال هذا الشريط ، وهذا من نعم الله عز وجل

علينا ، وهي في الحقيقة حجة لنا وعلينا ، فإن العلم انتشر انتشاراً واسعاً بواسطة هذه الأشرطة .

أما كيف يستفاد منها ؟ فهذا يرجع إلى حال الإنسان نفسه ، فمن الناس من يستطيع أن يستفيد منها وهو يقود السيارة ، ومنهم من

يستمتع إليه أثناء تناوله لطعام الغداء أو العشاء أو القهوة .

المهم كيفية الاستفادة منها ترجع إلى كل شخص بنفسه ، ولا يمكن أن نقول فيها ضابطاً عاماً .

الفائدة الأولى : أمور هامة عند الطلب

لابد لطالب العلم من مراعاة عدة أمور عند طلبه لأي علم من العلوم :

أولاً : حفظ متن مختصر فيه .

فإذا كنت تطلب النحو ، فإن كنت مبتدئاً فلا أرى أحسن من متن الأجرومية ؛ لأنه واضح وجامع وحاصر وفيه بركة ، ثم متن ألفية ابن مالك ؛ لأنها خلاصة علم النحو كما قال هو نفسه :
أحصى من الكفاية الخلاصة كما أقصى غنى بلا خصاصة

* وأما في الفقه فمتن زاد المستقنع ، لأنه كتاب مخدوم بالشرح والحواشي والتدريس ، وإن كان بعض المتون الأخرى أحسن منه من وجه ، لكن هو أحسن من حيث كثرة المسائل الموجودة فيه ، ومن حيث إنه مخدوم .

* وأما في الحديث فمتن عمدة الأحكام ، وإن ترقيت فيلوع المرام ، وإن كنت تقول إما هذا أو هذا ، فيلوع المرام أحسن ؛ لأنه أكثر جمعاً للأحاديث ، ولأن الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بين درجة الحديث .

* وأما في التوحيد فمتن أحسن ما قرأنا متن كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ، وأما في توحيد الأسماء والصفات فمن أحسن ما قرأت العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، فهو كتاب جامع مبارك مفيد ، وهلم جرا ، خذ من كل فن طلبه متناً مختصراً فيه واحفظه .

ثانياً : ضبطه وشرحه على شيخ متقن وتحقيق ألفاظه وما كان زائداً أو ناقصاً .

ثالثاً : عدم الاشتغال بالمطولات ، وهذه الفقرة مهمة لطالب العلم ، فلابد لطالب العلم أن يتقن المختصرات أولاً حتى ترسخ العلوم في ذهنه ثم يفيض إلى المطولات ، لكن بعض الطلبة قد يغرب فيطالع المطولات ثم إذا جلس مجلساً قال : قال صاحب المغني ، قال صاحب المجموع ، قال صاحب الإنصاف ، قال صاحب الحاوي ، ليظهر أنه واسع الاطلاع ، وهذا خطأ نحن نقول : ابدأ بالمختصرات حتى ترسخ العلوم في ذهنك ، ثم إذا من الله عليك ، فاشتغل بالمطولات ، وقياس ذلك بالأمر المحسوس أن ينزل من لم يتعلم السباحة إلى بحر عميق فإنه لا يستطيع أن يتلخص فضلاً عن أن يتقن .

رابعاً : لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب فهذا من باب الضجر ، وهذه آفة عظيمة تقطع على الطالب طلبه وتضيع عليه أوقاته ، فإذا كان كل يوم له كتاباً يقرأ فيه ، فهذا خطأ في منهج طالب العلم ، فإذا قررت كتاباً من كتب العلم فاستمر فيه ، ولا تقول أقرأ كتاباً أو فصلاً من هذا الكتاب ثم أنتقل للآخر ، فإن هذا مضيعة للوقت .

خامساً : اقتناص الفوائد والضوابط العلمية ، فهناك الفوائد التي لا تكاد تطرأ على الذهن ، أو التي يندر ذكرها والتعرض لها ، أو التي تكون مستجدة تحتاج إلى بيان الحكم فيها ، فهذه اقتنصها ، وقيدتها بالكتابة ، لا تقول هذا أمر معلوم عندي ، ولا حاجة أن أقيدها ، فإنك سرعان ما تنسى ، وكم من فائدة تمر بالإنسان فيقول هذه سهلة ما تحتاج إلى قيد ، ثم بعد فترة وجيزة يتذكرها ولا يجدها . لذلك احرص على اقتناص الفوائد التي يندر وقوعها أو يتجدد وقوعها ، وأحسن ما رأيت في مثل هذا كتاب " بدائع الفوائد " للعلامة ابن القيم - رحمه الله - فيه من بدائع العلوم ، ما لا تكاد تجده في كتاب آخر ، فهو جامع في كل فن ، كلما طرأ على باله مسألة أو سمع فائدة قيد ذلك ، ولهذا تجد فيه من علم العقائد ، والفقه ، والحديث ، والتفسير ، والنحو ، والبلاغة وغيرها .

وأيضاً احرص على الاهتمام بالضوابط : ومن الضوابط : ما يذكره العلماء تعليلاً للأحكام ، فإن كل التعليقات للأحكام الفقهية تعتبر ضوابط ؛ لأنها تبني عليها الأحكام ، فهذه احتفظ بها ، وسمعت أن بعض الإخوان يتتبع هذه الضوابط في الروض المربع ويحررها ، وقلت من الأحسن أن يقوم بهذا طائفة ، تتبع الروض المربع من أوله إلى آخره كلما ذكر علة تقييد ، لأن كل علة يبني عليها مسائل كثيرة ، إذ أن العلم له ضابط ، فكل ضابط يدخل تحته جزئيات كثيرة .

فمثلاً إذا شك في طهارة ماء أو بنجاسته فإنه يبني على اليقين ، فهذه العلة تعتبر حكماً وتعتبر ضابطاً .
أيضاً يعلل بأن الأصل بقاء ما كان على ما كان ، فإذا شك في نجاسة طاهر فهو طاهر ، أو في طهارة نجس فهو نجس ؛ لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان .

فإذا حرص طالب ودون كلما مر عليه من هذه التعليقات وحررها وضبطها ثم حاول في المستقبل أن يبني عليها مسائل جزئية لكان في هذا فائدة كبيرة له ولغيره .

سادساً : جمع النفس للطالب ، فلا يشتتها يميناً ويساراً ، اجمع النفس على الطلب مادمت مقتنعاً بأن هذا منهجك وسبيلك ، وأيضاً اجمع نفسك على الترقى فيه لا تبقى ساكناً . ففكر فيما وصل إليه علمك من المسائل والدلائل حتى تترقى شيئاً فشيئاً ، واستعن بمن تثق به من زملائك وإخوانك فيما إذا احتاجت المسألة إلى استعانة ، ولا تستحي أن تقول يا فلان ساعدني على تحقيق هذه المسألة بمراجعة الكتب ، الحياء لا ينال العلم به أحد ، فلا ينال العلم مستحي ولا مستكبر .

الفائدة الثانية : التلقى من الأشياء :

مما ينبغي لطالب العلم مراعاته تلقي العلم عن الأشياء ؛ لأنه يستفيد بذلك فوائده عدة :

- 1- اختصار الطريق ، فبدلاً من أن يذهب يقلب في بطون الكتب وينظر ما هو القول الراجح وما سبب رجحانه ، وما هو القول الضعيف وما سبب ضعفه ، بدلاً من ذلك كله ، يُمد إليه المعلم ذلك بطريق سهل ويعرض له خلاف أهل العلم في المسائل على قولين أو ثلاثة مع بيان الراجح ، والدليل كذا ، وهذا لا شك أنه نافع لطالب العلم .
- 2- السرعة في الإدراك ، فطالب العلم إذا كان يقرأ على عالم فإنه يدرك بسرعة أكثر مما لو ذهب يقرأ في الكتب ؛ لأنه إذا قرأ في الكتب تمر عليه العبارات المشككة والغامضة فيحتاج إلى التدبر وتكرار العبارة مما يأخذ منه الوقت والجهد ، وربما فهمها على وجه خطأ وعمل بها .
- 3- الربط بين طلاب العلم والعلماء الربانيين ، لذلك القراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه .

الفائدة الثالثة : أدب السؤال :

إذا دعت الحاجة للسؤال فليحسن طالب العلم السؤال ، أما إذا لم تدع الحاجة فلا يسأل ، لأنه لا ينبغي للإنسان أن يسأل إلا إذا احتاج هو أو ظن أن غيره يحتاج إلى السؤال ، فقد يكون مثلاً في درس ، وهو فاهم الدرس ولكن فيه مسائل صعبة تحتاج إلى بيانها لبقية الطلبة فيسأل من أجل حاجة غيره ، والمسائل لحاجة غيره كالمعلم ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءه جبريل وسأله عن الإيمان ، والإحسان ، والإسلام ، والساعة وأشراطها ، قال : " هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم " ، فإذا كان الباعث على السؤال حاجة السائل فسؤاله وجيه ، أو حاجة غيره وسأل ليعلم غيره فهذا أيضاً وجيه وطيب ، أما إذا سأل ليقول الناس : ما شاء الله فلان عنده حرص على العلم ، كثير السؤال ، فهذا غلط ، وعلى العكس من ذلك من يقول : لا أسأل حياءً ، فالثاني مُفَرِّط والأول مُفَرِّط ، وخير الأمور الوسط .

كذلك ينبغي أن يكون عند طالب العلم حسن الاستماع لجواب العالم ، وصحة الفهم للجواب ، فبعض الطلبة إذا سأل وأجيب تجده يستحي أن يقول ما فهمت . والذي ينبغي لطالب العلم إذا لم يفهم أن يقول ما فهمت لكن بأدب وتوقير للعالم.

الفائدة الرابعة : الحفظ ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : غريزي : يهبه الله تعالى لمن يشاء ، فتجد الإنسان تمر عليه المسألة والبحث فيحفظه ولا ينساه .

القسم الثاني : كسبي : بمعنى أن يمرن الإنسان نفسه على الحفظ ، ويتذكر ما حفظ فإذا عود نفسه تذكر ما حفظ سهل عليه حفظه .

الفائدة الخامسة : المجادلة والمناظرة نوعان :

النوع الأول : مجادلة ممارسة : يماري بذلك السفهاء ويجاري العلماء ويريد أن ينتصر قوله فهذه مذمومة.

النوع الثاني : مجادلة إثبات الحق وإن كان عليه فهذه محمودة مأمور بها وعلامة ذلك – أي المجادلة الحقة – أن الإنسان إذا بان له الحق اقتنع وأعلن الرجوع ، أما المجادل الذي يريد الانتصار لنفسه فتجده لو بان أن الحق مع خصمه ، يورد إيرادات يقول : لو قال قائل ، ثم إذا أجيب قال : لو قال قائل ، ثم إذا أجيب قال : لو قال قائل ، ثم تكون سلسلة لا تنتهي لها ، ومثل هذا على خطر ألا يقبل قلبه الحق لا بالنسبة للمجادلة مع الآخر ولكن في خلوته ، ربما يورد الشيطان عليه هذه الإيرادات [فيبقى في شك وحيرة] ، كما قال الله تبارك وتعالى : (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) الأنعام 110 .

وقال الله تعالى : (فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون) المائدة 49 ، فعليك يا أخي بقبول الحق سواء مع مجادلة غيرك أو مع نفسك ، فمتى تبين لك الحق فقل : سمعنا وأطعنا ، وأما وصدقنا .

ولهذا تجد الصحابة يقبلون ما حكم به الرسول عليه الصلاة والسلام أو ما أخبر به دون أن يوردوا عليه الاعتراضات .

فالحاصل أن المجادلة إذا كان المقصود بها إثبات الحق وإبطال الباطل فهي خير ، وتعودها وتعلمها خير لا سيما في وقتنا هذا ، فإنه كثر فيه الجدال والمراء ، حتى أن الشيء يكون ثابتاً وظاهراً في القرآن والسنة ثم يورد عليه إشكالات .

وهناك مسألة : وهي أن بعض الناس يتخرج من المجادلة حتى وإن كانت حقاً استدلالاً بحديث : " وأنا زعيم بيتي في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً " . فيترك هذا الفعل .

فالجواب : من ترك المراء في دين الله فليس بمحق إطلاقاً ؛ لأن هذا هزيمة للحق ، لكن قد يكون محققاً إذا كان تخاصمه هو وصاحبه في شيء ليس له علاقة بالدين مثلاً ، قال : رأيت فلاناً في السوق ، ويقول الآخر : بل رأيته في المسجد ، ويحصل بينهما جدال وخصام فهذه هي المجادلة المذكورة في الحديث ، أما من ترك المجادلة في نصرة الحق فليس بمحق إطلاقاً فلا يدخل في الحديث .

الفائدة السادسة : المذاكرة :

من الأمور التي ينبغي لطالب العلم أن يهتم بها المذاكرة ، والمذاكرة نوعان :

النوع الأول : مذاكرة مع النفس ، بأن تجلس مثلاً جلسة وحدك ثم تعرض مسألة من المسائل أو مسألة قد مرت عليك ، ثم تأخذ في محاولة عرض الأقوال وترجيح ما قيل في هذه المسألة بعضها على بعض ، وهذه سهلة على طالب علم ، وتساعد على مسألة المناظرة السابقة .

النوع الثاني : مذاكرة مع الغير ، بأن يختار من إخوانه الطلبة من يكون عوناً له على طلب العلم ، مفيداً له ، فيجلس معه ويتذاكرون ، يقرأ مثلاً ما حفظاه ، كل واحد يقرأ على الآخر قليلاً ، أو يتذاكران في مسألة من المسائل بالمراجعة أو بالمفاهمة إن قدرا على ذلك فإن هذا مما ينمي العلم ويزيده ، لكن إياك والشغب والصلف ؛ لأن هذا لا يفيد .

الفائدة السابعة : كراهية التزكية والمدح والتكبر على الخلق :

وهذه يبتلى بها بعض الناس فيزكي نفسه ، ويرى ما قاله هو الصواب وأن غيره إذا خالفه فهو مخطأ وما أشبه ذلك ، كذلك حب المدح تجده يسأل عما يقال عنه فإذا وجد أنهم مدحوه أنتفخ وزاد أنتفاخه حتى يعجز جلده عن تحمل بدنه ، كذلك التكبر على الخلق ، بعض الناس – والعياذ بالله – إذا أتاه الله علماً تكبر ، الغني بالمال ربما يتكبر ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم : " **العائل المستكبر من الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولا ينظر إليهم ، ولهم عذاب أليم** " ، لأنه ليس عنده مال يوجب الكبرياء ، لكن العالم لا ينبغي أن يكون كالغني كلما أزداد علماً أزداد تكبراً ، بل ينبغي العكس كلما أزداد علماً أزداد تواضعاً ؛ لأن من العلوم التي يقرأها أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، وأخلاقه كلها تواضع للحق وتواضع للخلق ، لكن على كل حال إذا تعارض التواضع للحق مع التواضع للخلق أيهما يقدّم ؟
يقدم التواضع للحق ، فمثلاً لو كان هناك إنسان يسب الحق ويفرح بمعاداة من يعمل به ، فهنا لا تتواضع له ، تواضع للحق ، وجادل هذا الرجل حتى وإن أهانك أو تكلم فيك فلا تهتم به ، فلا بد من نصره الحق .

الفائدة الثامنة : زكاة العلم تكون بأمور :

الأمر الأول : نشر العلم : نشر العلم من زكاته ، فكما يتصدق الإنسان بشيء من ماله ، فهذا العالم يتصدق بشيء من علمه ، وصدقة العلم أبقي دوماً وأقل كلفة ومؤنه ، أبقي دوماً ؛ لأنه ربما كلمة من عالم تسمع ينتفع بها أجيال من الناس وما زلنا الآن ننتفع بأحاديث أبي هريرة – رضي الله عنه – ولم ننتفع بدرهم واحد من الخلفاء الذين كانوا في عهده ، وكذلك العلماء ننتفع بكتبهم ومعهم زكاة وأي زكاة ، وهذه الزكاة لا تنقص العلم بل تزيده كما قيل :

يزيد بكثرة الأتفاق منه وينقص إن به كفاً شددت

الأمر الثاني : العمل به : لأن العمل به دعوة إليه بلا شك ، وكثير من الناس يتأسون بالعالم ، بأخلاقه وأعماله أكثر ممن ما يتأسون بأقواله ، وهذا لا شك زكاة .

الأمر الثالث : الصدع بالحق : وهذا من جملة نشر العلم ولكن النشر قد يكون في حال السلامة وحال الأمن على النفس وقد يكون في حال الخوف على النفس فيكون صدعاً بالحق .

الأمر الرابع : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا شك أن هذا من زكاة العلم ، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عارف للمعروف وعارف للمنكر ثم قائم بما يجب عليه من هذا المعرفة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الفائدة التاسعة : موقف طالب العلم من وهم وخطأ العلماء : هذا الموقف له جهتان :

الأولى : تصحيح الخطأ : وهذا أمر واجب ، يجب على من عثر على وهم إنسان ولو كان من أكبر العلماء أن ينبه على هذا الوهم وعلى هذا الخطأ ، لأن بيان الحق أمر واجب وبالسكوت يمكن أن يضيّع الحق لاحترام من قال بالباطل ؛ لأن احترام الحق أولى بالمراعاة .

لكن هل يصرح بقاتل الوهم أو الخطأ ؟ أو يقول توهم بعض الناس فقال كذا وكذا ؟

الجواب : ينظر لما تقتضيه المصلحة ، قد يكون من المصلحة ألا يصرح ، كما لو كان يتكلم عن عالم مشهور في عصره موثق عند الناس ، محبوب إليهم ، يقول : قال فلان : كذا ، وكذا وهذا خطأ ، فإن العامة لا يقبلون كلامه بل يسخرون منه ولا يقبلون الحق ، ففي هذه الحال ينبغي أن يقول : من الخطأ أن يقول القائل كذا وكذا ، ولا يذكر اسمه ، وقد يكون هذا الرجل الذي توهم متبوعاً يتبعه شريحة من الناس وليس له قدر في المجتمع فحينئذ يصرح لنلا يغتر الناس به ، فيقول : قال فلان كذا وكذا وهو خطأ .

الثانية : أن يقصد بذلك بيان معايبة لا بيان الحق من الباطل ، وهذه تقع من إنسان حاسد – والعياذ بالله – يتمنى أن يجد قولاً ضعيفاً أو خطأ لشخص ما فينشره بين الناس ولهذا نجد أهل البدع يتكلمون في شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – وينظرون إلى أقرب شيء يمكن أن يفدح به فينشرونه ويعيبونه ، مثلاً يقولون خالفت الإجماع في أن الطلاق الثلاث واحدة فيقولون هذا شاذ ، ومن شذ في النار ، وأمثال هذا كثير .

المهم أن يكون قصدك من البيان إظهار الحق ومن كان قصده الحق وفق لقبوله ، أما من كان قصده أن يظهر عيوب الناس فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته ، فإذا عثرت على وهم عالم ، حاول أن تدفع اللوم عنه وأن تذب عنه ، لا سيما إذا كان من العلماء المشهود لهم بالعدالة والخير ونصح الأمة .

الفائدة العاشرة : في المقصود ببركة العلم :

قبل بيان المقصود بالبركة في العلم لابد أن نعرف البركة فهي كما يقول العلماء " الخير الكثير الثابت " ويعيدون ذلك إلى اشتقاق هذه الكلمة فإنها من البركة وهي مجمع الماء ، والبركة التي هي مجمع الماء مكان واسع ، مأواه كثير ثابت ، فالبركة هي الخيرات الكثيرة الثابتة ، من كل شيء من المال ومن الولد ومن العلم ؟ وكل شيء أعطاه الله - عز وجل - لك تسأل الله سبحانه البركة فيه ؛ لأن الله - عز وجل - إذا لم يبارك لك فيما أعطاك حرمت خيراً كثيراً .

ما أكثر الناس الذين عندهم المال الكثير وهم في عداد الفقراء لماذا ؟ لأنهم لا ينتفعون بما لهم ، تجد عندهم من الأموال ما لا يحصى ، لكن يقصر على أهله في النفقة ، وعلى نفسه ولا ينتفع بماله ، والغالب أن من كانت هذه حاله وبخل بما يجب عليه ، أن يسلط الله على أمواله آفات تذهبها ، كثير من الناس عنده أولاد لكن أولاده لم ينفعوه ، عندهم عقوق واستكبار على الأب ، حتى إنه - أي الولد - يجلس إلى صديقه الساعات الطويلة يتحدث إليه ويأنس به ويفضي إليه أسراره - لكنه إذا جلس عند أبيه ، فإذا هو كالطير المحبوس في القفص - والعياذ بالله - لا يأنس بأبيه ، ولا يتحدث إليه ، ولا يفضي إليه بشيء من أسراره ، ويستثقل حتى رؤية والده : فهو لا لم يبارك لهم في أولادهم .

أما البركة في العلم فتجد بعض الناس قد أعطاه الله علماً كثيراً لكنه بمنزلة الأمي فلا يظهر أثر العلم عليه في عباداته ، ولا في أخلاقه ، ولا في سلوكه ، ولا في معاملته مع الناس ، بل هو قد يكسيه العلم استكباراً على عباد الله وعلواً عليهم واحتقاراً لهم ، وما علم هذا أن الذي من عليه بالعلم هو الله ، وأن الله لو شاء لكان مثل هؤلاء الجهال .
تجده قد أعطاه الله علماً ، ولكن لم ينتفع الناس بعلمه . لا بتدريس ولا بتوجيه ، ولا بتأليف ، بل هو منحصر على نفسه ، لم يبارك الله له في العلم ، وهذا بلا شك حرمان عظيم ، مع أن العلم من أبرك ما يعطيه الله العبد ؛ لأن العلم إذا علمته غيرك ، ونشرته بين الأمة ، أجرت على ذلك من عدة وجوه :

أولاً : أن في نشر العلم نشرًا لدين الله - عز وجل - فتكون من المجاهدين ، فالمجاهد في سبيل الله يفتح البلاد بلدًا بلدًا حتى ينشر فيها الدين ، وأنت تفتح القلوب بالعلم حتى تنشر فيها شريعة الله - عز وجل - .
ثانيًا : من بركة نشر العلم وتعليمه ، أن فيه حفظاً لشريعة الله وحماية لها ؛ لأنه لو لا العلم لم تحفظ الشريعة ، فالشريعة لا تحفظ إلا برجالها رجال العلم ، ولا يمكن حماية الشريعة إلا برجال العلم ، فإذا نشرت العلم ، وانتفع الناس بعلمك ، حصل في هذا حماية لشريعة الله ، وحفظ لها .

ثالثًا : فيه أنك تحسن إلى هذا الذي علمته ؛ لأنك تبصره بدين الله - عز وجل - فإذا عبد الله على بصيرة ؛ كان لك من الأجل مثل أجره ؛ لأنك أنت الذي دللته على الخير ، والدال على الخير كفاعل الخير ، فالعلم في نشره خير وبركة لناشره ولمن نشر إليه .
رابعًا : أن في نشر العلم وتعليمه زيادة له ، علم العالم يزيد إذا علم الناس لأنه استذكار لما حفظ ، وانفتاح لما لم يحفظ ، وما أكثر ما يستفيد العالم من طلبة العلم ، فطلابه الذين عنده أحياناً يأتون له بمعانٍ ليست له على بال ، ويستفيد منهم وهو يعلمهم ، وهذا شيء مشاهد .

ولهذا ينبغي للمعلم إذا استفاد من الطالب ، وفتح له الطالب شيئاً من أبواب العلم - ينبغي له - أن يشجع الطالب ، وأن يشكره على ذلك ، خلافاً لما يرضه بعض الناس أن الطالب إذا فتح عليه وبين له شيئاً كان خفياً عليه ، تضايق المعلم ، يقول هذا صبي يعلم شيئاً فيتضايق ، ويتحاشى بعد ذلك أن يتناقش معه ، خوفاً من أن يطلعه على أمر قد خفي عليه ، وهذا من قصور علمه بل من قصور عقله .

لأنه إذا من الله عليك بطلبة يدك كرونك ما نسيت ويفتحون عليك ما جهلت ، فهذا من نعمة الله عليك ، فهذا من فوائد نشر العلم أنه يزيد إذا علمت العلم كما قال القائل مقارناً بين المال والعلم يقول في العلم :
يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن به كفوًا شددت
إذا شددت به كفوًا ، وأمسكته نقص ، أي تنساه ، ولكن إذا نشرته يزداد .

وينبغي للإنسان عند نشر العلم أن يكون حكيماً في التعليم ، بحيث يلقي على الطلبة المسائل التي تحتملها عقولهم فلا يأتي إليهم بالمعضلات ، بل يربيههم بالعلم شيئاً فشيئاً .

ولهذا قال بعضهم في تعريف العلم الرباني : العلم الرباني هو : الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره .

ونحن نعلم جميعاً أن البناء ليس يؤتى به جميعاً حتى يوضع على الأرض ، فيصبح قصراً مشيداً بل يبني لبنة لبنة ، حتى يكتمل البناء ، فينبغي للمعلم أن يراعي أذهان الطلبة بحيث يلقي إليهم ما يمكن لعقولهم أن تدركه ، ولهذا يؤمر العلماء أن يحدثوا الناس بما يعرفون .

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : إنك لن تحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة .

كذلك أيضاً ينبغي للمعلم أن يعتني بالأصول والقواعد ؛ لأن الأصول والقواعد هي التي يبني عليها العلم . وقد قال العلماء : من حرم الأصول حرم الوصول ، أي لا يصل إلى الغاية إذا حرم الأصول ، فينبغي أن يلقي على الطلبة القواعد والأصول التي تنفرع عليها المسائل الجزئية ؛ لأن الذي يتعلم على المسائل الجزئية لا يستطيع أن يهتدي إذا أتته معضلة فيعرف حكمها ؛ لأنه ليس عنده أصل .

تم بحمد الله